

الحراك الثوري في تونس (2011) : السياق العام وردود الفعل الدولية

The revolutionary movement in Tunisia (2011) Global context and international reactions

◆ حمزة نش

جامعة تسمسيلت- الجزائر

hamzaneche@hotmail.fr

تاريخ النشر: 2022/06/03

تاريخ القبول: 2022/04/28

تاريخ الإرسال: 2022/01/20

الملخص:

تبحث هذه الدراسة الموسومة بعنوان الحراك الثوري في تونس (2011): السياق العام وردود الفعل الدولية مشكلة بحثية رئيسية: كيف تفاعلت مختلف القوى المجتمعية التونسية والمجتمع الدولي مع الحراك التونسي؟

حيث تم تقسيم الدراسة إلى ثلاث عناصر أساسية؛ تناولنا في العنصر- الأول: نشأة وتطور الحراك الثوري، في حين تناولنا في العنصر الثاني أهم الفواعل المؤثرة في الحراك الثوري سواء كانت رسمية أو غير رسمية، لتتناول في العنصر الثالث المواقف المختلفة من الحراك الثوري، لتتوصل إلى مجموعة من النتائج أجبنا فيها على أن فواعل الحراك لعبت دورا لا يستهان به في التعجيل بقيام الثورة والمطالبة بالتغيير. وتصل الدراسة في الأخير إلى أن المواقف الدولية اتجهت الثورة التونسية لم تكن على مستوى واحد إذ تباينت المواقف، حيث تتحكم فيها المصالح الاقتصادية والإستراتيجية، وكذا الموقف من الصراع العربي الإسرائيلي والقضية الفلسطينية.

الكلمات المفتاحية: الانتفاضة التونسية، الانتقال السياسي، الحراك الثوري. القوى السياسية، الثورة التونسية

Abstract:

This study examines a major research problem, about how the various Tunisian societal forces and the international community interacted with the Tunisian movement?

المؤلف المرسل*

نش حمزة

We tried to dismantle and study this main problem, by addressing a set of sub-questions, and putting forward a number of auxiliary scientific hypotheses that help us prove or negate the research variables.

The study was divided into three main axes; We first dealt with the emergence and development of the revolutionary movement, while in the second part we dealt with the most important actors influencing the revolutionary movement, whether official or unofficial, and finally the different positions on the revolutionary movement.

In the end, we reached a number of results in which we answered that the actors of the movement played an important role in pushing for the revolution to take place at an early date and calling for change. The study concluded in the end that the international attitudes towards the Tunisian revolution were not on one level, but rather different, as they are controlled by economic and strategic interests, as well as the position on the Arab-Israeli conflict.

Keywords: Tunisian uprising, political transition, revolutionary movement. Political forces, the Tunisian revolution

مقدمة:

قد يكون من المناسب بداية الإشارة إلى أن الثورة التونسية أو ما يعرف بانتفاضة الحرية والكرامة قد بدأت في السابع عشر ديسمبر 2010، وذلك على اثر حادثة البوعزيزي وهو التاجر المتجول الذي تمت إهانته من طرف ضباط الشرطة، ثم مصادرة عربته التي يكسب به قوت عيشه، وقد كانت هذه الممارسات الاستبدادية سببا كافيا للبوعزيزي لكي يحرق جسده يوم 2010/12/17. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الحادثة الأليمة قد لقيت استنكارا من طرف الشعب التونسي- منذ الوهولة الأولى، لتكون بذلك القطرة التي أفاضت الكأس، وبدأت الثورة بخروج أهالي ناحية سيدي بوزيد في احتجاجات شعبية ذات مطالب اجتماعية سرعان ما تحولت إلى مطالب سياسية للدفاع عن الحرية والكرامة.

ليكون هذا التاريخ بداية انطلاق انتفاضة شعبية تلقائية وبدون قيادة، ولا برنامج معلن، حيث عبرت المظاهرات عن غضب شعبي متراكم بلغت ذروته، واحتقان متزايد بلغ حد الانفجار⁽¹⁾، وهذا ما سيتم التطرق إليه بالدراسة والتحليل المعمق في الحثيات.

¹ - رنا العاشوري سعدي، التجربة الديمقراطية في تونس: هاجس متأصل ومسار متعثر آراء ومناقشات، مجلة المستقبل العربي، ع423، أبريل 2014، ص164.

الحراك الثوري في تونس (2011) : السياق العام وردود الفعل الدولية

أهمية الموضوع :

إن ما جرى في تونس مع نهاية عام 2010 وبداية عام 2011 هو استخدام متطور للاحتجاجات الجماهيرية السلمية من أجل تغيير البنية السياسية وإعادة إنتاحها، وما تحتاجه هذه الاحتجاجات للوصول إلى الهدف هو توافر متغيرين ضابطين هما: الوعي بالأهداف واستحضار المخاطر، ففي سياق ذلك تدعونا الضرورة إلى الإحاطة بهذه الظاهرة انطلاقا من اعتبارين أساسيين وهما الأهمية العلمية والفائدة العملية المرجوة من القيام بهذا الدراسة.

1/الأهمية العلمية:

تسعى هذه الدراسة إلى بناء ومحاولة فهم العلاقة بين متغيرات الدراسة هذا من جهة، ومن جهة ثانية لابد للدراسات الأكاديمية أن تخدم الواقع العملي وتفرض بيئة صالحة للتحليل السياسي والمنطقي المبني على أسس علمية ومنطقية جادة وليست مجرد تحليلات عشوائية دون تحليل علمي.

2/الأهمية العملية:

استجابت هذه الدراسة إلى ضرورة الوقوف عند الفواعل السياسية والمجتمعية، وكذا ردود الفعل الدولية من الثورة في تونس إذ تعتبر هذه الدراسة من بين المواضيع التي تسهم عند فتحها في كشف الغموض الذي يلف بعض الجوانب المتعلقة بالنظام السياسي التونسي.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لمعرفة الفواعل المؤثرة في الحراك الثوري في تونس، كما تسعى إلى الوقوف على الأسباب الحقيقية الكامنة وراء اندلاع الثورة في تونس، على اعتبار أن هذه الثورة لم تأت من فراغ ولم تكن وليدة الصدفة، وإنما كانت نتيجة لتأزم اجتماعي حقيقي، كما تحاول هذه الدراسة الوقوف على ردود الفعل الدولية من الثورة في تونس .

أهداف الدراسة

يتمثل الهدف العام للدراسة في البحث عن كيفية وإمكانية توطين مفاهيم الحراك الثوري في تونس فكرا وممارسة، خاصة في ظل المطالب الشعبية التي تنادي بضرورة الإصلاح واحترام حقوق الإنسان، ومن هنا جاءت الدراسة لتحقيق بعض الأهداف من خلال محاولة استقراء بعمق علمي وتأصيل منهجي منظم لبعض الإسهامات المعرفية المقدمة من طرف العديد من الباحثين ضمن حقل السياسات المقارنة وتحليلها.

وبناء على ما سبق ذكره يكتسب هذا الموضوع أهمية، ولذلك سنحاول الإجابة على الإشكالية التالية:

كيف تفاعلت مختلف القوى المجتمعية التونسية والمجتمع الدولي مع الحراك التونسي؟

لمعالجة وتحليل هذه الإشكالية، وجب علينا الإجابة على التساؤلات الفرعية التالية:

نش حمزة

1- ماهي أهم الفواعل السياسية والمجتمعية التي ساهمت في الحراك الثوري في تونس؟، وكيف أثرت على السياق العام للدولة والمجتمع؟ .

2- وفيما تمثلت أبرز المواقف الدولية التي تمخضت عن الحراك الثوري في تونس؟.

الفرضيات :

بناء على الإشكال الرئيس المطروح، والتساؤلات الفرعية الواردة، اتبيننا إلى صياغة فرضيات تفسيرية، على النحو التالي:

الفرضيات الجزئية:

*كلما دخلت القوى والفواعل السياسية التونسية في مشروع الديمقراطية ومكنت للتوافق السياسي، أدى إلى رسم الإستراتيجية والمسار الصحيح للتحول والانتقال الديمقراطي.

*خلف الحراك الثوري في تونس مواقف دولية متباينة.

الإطار المنهجي:

اقتضت الدراسة الاعتماد على عدة مناهج نعتقد أنها سوف تساهم في معالجة موضوعنا الشائك، ومن ثمة إلى دراسة موضوعية لذا اعتمدنا على المناهج التالية :

✓ **المنهج التاريخي:** لا يمكن فهم الظاهرة المدروسة بمعزل عن جذورها التاريخية، والمنهج التاريخي لا يكتفي بسرد الوقائع وتكديسها، ولكنه يقدم تصورا للظروف والمحيط الذي تحكم في ميلاد الظواهر واندثارها، ويحاول أن يصل إلى إيجاد القوانين التي تحكمت في ذلك¹، ومن أجل وضع الموضوع في سياقه الزماني الماضي والحاضر، حيث مكننا هذا المنهج من التعرف على السيرورة التاريخية التي مرت بها الدولة التونسية ككل، ومن ثم الوقوف على محطات التفاعل بشتى صورها، كما أنه يساعدنا على الاستقصاء والتطور للإصلاحات السياسية والاقتصادية وأبعادها وأثرها على التحولات السياسية، ويوفر لنا المعلومات لعملية التحليل والتفسير بالإضافة إلى الكشف عن الروابط السببية بين العوامل الداخلية والخارجية للتحول، وكذا العلاقة التفاعلية بين هذه العوامل .

✓ **المنهج الوصفي التحليلي:** اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي الذي بدوره يساعدنا في وصف طبيعة المجتمع التونسي، وكذا وصف النظام السياسي، حيث يعتبر الوصف أحد مستويات البحث العلمي، إضافة إلى التحليل والتفسير، ويقوم هذا المنهج على تفسير الوضع القائم أو المشكلة من خلال تحديد ظروفها

¹ - حمزة نش، الحقوق السياسية للمرأة في التشريعات الوطنية الجزائرية - دراسة سياسية مقارنة في ضوء المواثيق الدولية لحقوق الانسان 1989-2009، رسالة ماجستير في العلوم السياسية غير منشورة، جامعة الجزائر 3، كلية العلوم السياسية والإعلام، 2011-2012، ص 6.

الحراك الثوري في تونس (2011) : السياق العام وردود الفعل الدولية

وأبعادها والحقائق المرتبطة بها¹، حيث يصف لنا الأوضاع في المنطقة، ويفسر- لنا أسباب وخلفيات مطالب القوى السياسية والمجتمعية برحيل النظام السياسي القائم.

✓ **منهج دراسة حالة:** وهو المنهج البارز في عنوان الدراسة ، والذي يخص دراسة الحراك الثوري في تونس من خلال الوقوف عند أهم الفواعل السياسية والمجتمعية التي كانت وراء المطالبة برحيل النظام، فالدراسة تستدعي استخدام هذا المنهج، وذلك من خلال التركيز على الواقع السياسي التونسي، ومسار التحول الديمقراطي بالتركيز على دراسة واحدة وهي الدولة التونسية.

1- نشأة وتطور الحراك الثوري :

أدى الوضع الاجتماعي المزري في تونس إلى خروج المواطنين للشوارع في مظاهرات احتجاجية انتشرت في كافة ربوع الجمهورية بقيادة عدد من العاطلين الذين تصدت لهم قوات الأمن بالعنف، مما زاد الأمر تعقيدا، والذي عبر عنه الحراك الاجتماعي في جل المناطق التابعة لمحافظة "سيدي بوزيد".

وكرر فعل عن الهمجية التي تصرف بها الأمن التونسي توسعت الانتفاضة الشعبية، وذلك من خلال مشاركة مختلف الشرائح الاجتماعية والمهنية التي عبرت عن تضامنها المطلق، غير أن الذي زاد الطين بلة أنه يوم الثلاثاء 4 جانفي 2011 توفي البوعزيزي نتيجة للجروح البليغة من جراء النار التي أضرمها في جسده.

وعلى خلفية وفاة الشاب اندلعت شرارة الاحتجاجات معبرين على سخطهم من النظام، وكانت هذه الاحتجاجات بمثابة رسالة قوية للنظام، ولم يستطع هذا الأخير إخماد انتفاضة الشارع رغم محاولاته العديدة باستخدام التهديد والقمع.

وفي 10 جانفي 2011 ألقى الرئيس زين العابدين بن علي خطابا اتهم فيه المتظاهرين مهاجما إياهم بالميلوات لجهات أجنبية(عملاء)، وفي مقابل ذلك أعلن عن مشاريع جديدة للتوظيف، وإقدامه على إقالة عدد من الوزراء من بينهم وزير الداخلية رفيق الحاج⁽²⁾، إضافة إلى تقديم وعود لمعالجة المشاكل، وأعلن عزمه على عدم الترشح لانتخابات 2014، وكذا إعلانه عن سلسلة من الإجراءات الاجتماعية والاقتصادية التي ستأخذها حكومته بعد عام من الخطاب⁽³⁾ بهدف تحسين وضع الشباب وتخفيض أسعار بعض المنتجات، إلا أن الجماهير المنتفضة لم تتفاعل مع هذه الوعود ولم تستجب لخطاب رئيس الدولة، بل زادت من الغضب الجماهيري لترفع

¹ - مصطفى محمود أبو بكر، البحث العلمي : تعريفه ، خطواته ، مناهجه، الإسكندرية، دار الجامعة ، 2002، ص. 51.

2- محمد جمال عرفة، جمهورية الفاييسبوك، تويتر، يوتيوب تعود ثورة تونس 20 أفريل 2011، في: <http://www.onuslan.net>، 2016/04/18 على الساعة 12:00.

3- النموذج الثوري التونسي، المسار والتحديات رهانات الانتقال، مركز الإنماء للبحوث والدراسات، 2011/07/09.

نش حمزة

شعاره "الشعب يريد إسقاط النظام"⁽¹⁾، نتيجة الخطاب التصعيدي الأول للرئيس بن علي إذ ساهم هذا الأخير في زيادة الاحتجاجات والمواجهات مع قوات الأمن.

وقد ساهم هذا الخطاب كذلك في بروز تنسيق بين المحتجين في مختلف الولايات خاصة المناطق النائية والبعيدة، والتي بدورها تؤدي إلى توزيع قوات الأمن عبر كامل تراب الجمهورية وعدم تركيزها على المدن الكبرى، إذ أن هذا التوزيع يؤدي في النهاية إلى تشتت قوات الأمن، كل هذا أدى إلى تسجيل تجاوزات خطيرة ارتكبتها الأمن التونسي.

ومن جهة أخرى حاولت الحكومة التونسية الاستجابة لبعض المطالب التي رفعها المحتجين لإخضاع الثورة، من خلال الإقرار والاعتراف من طرف النظام الحاكم بأنها مطالب مشروعة⁽²⁾ وجب تحقيقها.

غير أن تمسك الجماهير بمطالبهم الاجتماعية تطورت لتصبح مطالب سياسية الرامية إلى رحيل النظام برمته، واستبداله بنخبة جديدة لتتحول هذه الانتفاضة من مطالب اجتماعية إلى مطالب سياسية، لتعلن القطيعة مع نظام عمر طويلا وساهم بشكل كبير في تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وكذا السياسية التي انعكست سلبا على الأوضاع السابقة الذكر.

2- الفواعل المؤثرة في الحراك الثوري:

عرف الحراك الشعبي في تونس ظهور فواعل مغمشة وغائبة عن الساحة السياسية قبل قيام الثورة من قبل النظام الحاكم، وسوف نسعى من خلال هذه الدراسة إلى التطرق إلى أهم الفواعل التي لعبت دورا كبيرا في دعم التحول الديمقراطي في تونس، إذ لعبت هذه القواعد دورا لا يستهان به في التعجيل بقيام الثورة والمطالبة بالتغيير سواء كانت فواعل رسمية أو غير رسمية.

1-2- الفواعل الرسمية:

الجيش:

تعتبر المؤسسة العسكرية التونسية فريدة من نوعها مقارنة بالمؤسسات العسكرية في العالم العربي، إذ تميزت منذ إنشائها بقوة مسلحة بمستوى عال من المهنية على الرغم من عددها وعتادها المتواضعين، فلم تقم بأي دور في عملية التحرر الوطني، بل اقتصر دورها منذ الاستقلال على مساعدة ومساندة السلطة السياسية كذراع عسكرية في إدارة الأزمات التي واجهت البلاد⁽³⁾.

1- سهيل حبيب، المفاهيم الإيديولوجية في مجرى حراك ثورات الربيع العربي، ط1، بيروت، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014، ص.37.

2- توسع التحركات الاحتجاجية في تونس 2016/12/26، في: www.aljazeera.net، 2016/04/14، الساعة 16:00.

3- نور الدين جنون، دور الجيش في الثورة التونسية، في ثورة تونس الأسباب والسياقات والتحديات، لمجموعة باحثين، ط1، البوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012، ص.330.

الحراك الثوري في تونس (2011) :

السياق العام وردود الفعل الدولية

كما لعبت المؤسسة العسكرية دورا رئيسيا في التعجيل برحيل بن علي من خلال الامتناع عن إطلاق الرصاص والتزامها بالحياد في بداية الأمر، ثم تحول موقفها إلى التحيز للمتظاهرين في الأيام الأخيرة قبل سقوط الرئيس المخلوع.

وهو ما يوضح جليا بأن المؤسسة العسكرية لا تريد التدخل أو الخوض في الشأن السياسي وأن تدخلاتها لا تكون إلا عند الضرورة القصوى، مما يوحي إلى أن المؤسسة العسكرية وفقا للتقاليد لا تتخرب في السياسة⁽¹⁾ منذ الاستقلال سواء تعلق الأمر بفترة حكم الحبيب بورقيبة أو من خلال فترة بن علي، خاصة وأن بن علي منذ توليه زمام الأمور عمل على تهميش المؤسسة العسكرية منتهجا سياسة سابقه أي بورقيبة.

ويمكننا التأكيد بأن الجيش التونسي- كان له دور كبير في سقوط نظام بن علي، وهو ما اتضح من خلال معارضة الجنرال رشيد عمار لأوامر بن علي في مواجهة الاحتجاجات، إذ أن دور الجيش يتمركز خلال هذه المرحلة في حماية الدولة من الانهيار والحيلولة دون الوقوع في الفوضى مع الاستجابة المحسوبة لمطالب الانتفاضة⁽²⁾، زد على ذلك فقد عمل الجيش التونسي على حماية المنشآت والبنى التحتية، ويمكن إرجاع حياد المؤسسة العسكرية إلى الأسباب التالية:

* تأزم العلاقة بين المؤسسة العسكرية وبين رئيس الجمهورية الذي واصل نفس سياسة بورقيبة من خلال تهميش المؤسسة العسكرية وتفضيل أجهزة الأمن عليها.

* أن الانتفاضة الشعبية في تونس أخذت النهج السلمي للتعبير عن رأيها، هذا ما جعل الجيش يتجرد من أي ذريعة تستخدمها ضد الشعب لتحقيق الانضباط سواء عن طريق استخدام الهراوات والغازات المسيلة للدموع أو اللجوء إلى استخدام الأسلحة النارية.

* اقتناع الشعب بشرعية المطالب الشعبية التي كان ينادي بها الشعب خاصة ما تعلق بالكرامة، وكذا رفضه لظاهرة الفساد التي أصبحت مستشرية، وسياسة الإقصاء المنتهجة من طرف النظام إذ أن هذه المظاهرات شملت شرائح واسعة من الشعب.

وعليه يمكن القول بأن المؤسسة العسكرية لعبت دورا رئيسيا في التعجيل برحيل بن علي من خلال تعاملها مع المتظاهرين وانخيازها لهم، في حين نجد أن المؤسسة العسكرية لا ترغب في الخوض في الشأن السياسي⁽³⁾.

1- شارل غريوال، ثورة هادئة: الجيش التونسي- بعد بن علي 14فيفري 2016، في: <http://carmagie.mce.org>، 2016/02/16 الساعة 13:00.

2- أمينة محدي، التحول الديمقراطي في تونس، رسالة ماستر 2014-2015، ص 75..

3- المشهد السياسي التونسي بعد الثورة، في: www.assakina.com، 2016/01/03 الساعة 17:00.

نش حمزة

وفي هذا الموضوع عبر الخبير العسكري المتحدث باسم وزارة الدفاع السابقة العميد "مختار بن نصر- " في حلقة من برنامج " الواقع العربي " يوم 2014/11/13 التي ناقشت دور الجيش في حماية الثورة والتزام الحياض إذ انه أدى واجبا كبيرا في دعم الثورة منذ انتشارها في الميدان إذ قرر ألا يتصدى للشعب⁽¹⁾.

2-2- الفواعل الغير رسمية:

أ- الحركات الشبابية:

كشفت أحداث الثورة وتداعياتها عن ظهور أنماط جديدة من الحركات الاجتماعية يشكل الشباب عصبها الرئيسي فكثرت التنظيمات والمبادرات الشبابية، وتعددت أنماطها تنظيميا وفكريا وسياسيا بصورة غير مسبوقة، فقد لعبت هذه الأخيرة دورا فعالا في تحقيق التغيير السياسي في تونس، كيف لا وهي القوى الشبابية العاطلة عن العمل والحاملين لشهادات جامعية، وكذا عمال وموظفون سواء كانوا متعاطفين أم منددين بسياسات النظام.

إن هذه الفئة الشبابية استطاعت أن تفرض نفسها على أرض الواقع في وقت وجيز، وهذا راجع إلى الانسجام والتجانس الذي تتمتع به هذه الفئة فكانت نقطة قوتهم، فكانت بدايتها التنديد بالفساد والمحسوبية والمشاكل التي يتخبط فيها المواطن التونسي-، وصولا إلى الإطاحة بأقوى الأنظمة الاستبدادية في العالم العربي يوم 14 جانفي 2011 حيث فرض شباب القصة الذي جاء من كل ربوع الجمهورية بالضغط والاعتصام وهو ما عجل برحيل نظام بن علي.

فالقوى الثورية والشبابية كتمت من أنماط الحركات الاجتماعية تحاول كما يؤكد تارو⁽²⁾ " أن تستبدل النسق الفكري والعقدي السائد الذي يضمن شرعية على الوضع الراهن بنسق عقدي آخر يدعم العمل الجماعي من أجل التغيير "، حيث يتم خلق هوية وقيم مشتركة، وأهداف متوافق عليها وعمليات تأطير وتعبئة وتوعية بالروابط المشتركة والرؤى الناقد للقوى المسيطرة، غير أنه بالرغم من الدور الذي لعبته الحركات الشبابية في تفجير الانتفاضة الشعبية في تونس، فإن البعض من الباحثين يرون أن دور الحركات الشبابية تراجع بعد الثورة ولم تنجح الحركات الشبابية في الوصول إلى الحكم أو حتى أن تكون شريكا.

والواقع أن الحركات الشبابية لم تكن مؤهلة لتجربة الحكم أو الفوز بالانتخابات بعد جانفي، وقد كشفت ممارستها عن الاستمرار في تبني طريق الاحتجاج وتنوير الشارع⁽³⁾، مما أدى لتراجع شعبيتها، إضافة إلى معاناة الحركة الشبابية من عف التنظيم والتركيز إلى جانب الانقسامات الداخلية، ولذلك فهي تفتقد وجود قواعد اجتماعية

1- برنامج الواقع العربي، دور الجيش التونسي- في حماية الثورة والتزامه الحياض اتجاه السياسة في تونس 2005/11/13، في: www.aljazeera.net، 2015/12/18، الساعة 21:00.

2- أحمد الصويان بن عبد الرحمن وآخرون، الربيع العربي، المسار والمصير، تقرير ارتيادي استراتيجي يصدر عن مجلة البيان بالرياض، 2015، ص 103.

3- المكان نفسه.

الحراك الثوري في تونس (2011) :

السياق العام وردود الفعل الدولية

وشعبية مقارنة بالأحزاب ذات المرجعية الإسلامية التي تتوافر لديها الخبرة التنظيمية، والدعم المادي والسياسي المنظم الذي مكّنها من الحصول على الأغلبية البرلمانية، وكذا الفوز بالمناصب التنفيذية وفي مقابل ذلك كانت الحركة الشبابية تظهر غير وسائل الإعلام بنوع من المبالغة، وكذا حضور المؤتمرات الدولية واللقاء المحاضرات في الجامعات الكبيرة والمنتديات العالمية⁽¹⁾.

ب- الإعلام:

عرف الواقع الإعلامي في تونس انغلاقاً نتيجة لسياسات بن علي الرامية إلى تطبيق سياسة الإقصاء والتعتيم الإعلامي، من خلال العمل على تعطيل عمل العديد من الصحف المعارضة، وبدخول تونس مرحلة جديدة بعد الحراك الشعبي دخل الإعلام التونسي مرحلة جديدة معلنا بذلك القطيعة للمرحلة التي سبقتها.

وهنا ظهر دور الإعلام من خلال المساهمة الفعالة على تسليط الضوء على الأوضاع المزرية والفتنات المهمشة قبل الحراك الاجتماعي، إضافة إلى تسليط الضوء على الممارسات الممحنة والمنهجة من طرف السلطة ونقل الأحداث وقت حدوثها، وكذا تعبئة الجماهير لمساندة الاحتجاجات وإزالة التعتيم الذي استخدمه الإعلام الرسمي من خلال تشويه إنجازات الانتفاضة الشعبية والتركيز على سلبياتها، وهدم كل الإنجازات.

وفي ذات السياق فإن الحراك الشعبي في تونس اعتمد على وسائل الإعلام التكنولوجي خاصة مواقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك، تويتر، يوتيوب، التي سوف نتطرق إليها في هذه الدراسة نظراً لما لها من أهمية بالغة للدور الذي لعبته خلال تلك الفترة، وهي:

- موقع الفيسبوك:

تأسس سنة 2004 كموقع تشبيك اجتماعي حصري لطلاب جامعة هافارد، ليتسع استخدامه ليشمل كل دول العالم حيث يتيح هذا الأخير التفاعل بين الأشخاص سواء عن الطريق الكتابة أو إضافة تعليق أو عن طريق الردشة الفورية، وهو ساهم بشكل كبير في تفاعل شباب الثورة في تونس وكذا ترشيد الاحتجاجات الشعبية⁽²⁾ لإيصالها إلى شريحة كبيرة من التونسيين، وكذا العالم الخارجي، إضافة إلى نقل تطورات الأحداث دون رقابة الأجهزة البوليسية المطبقة على الرأي العام التونسي.

ومما لا شك فيه فإن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي وعلى وجه الخصوص الفيسبوك شهد نقلة نوعية وارتفاع محسوس في فترة وجيزة، ويعود ذلك لما يتميز به المجتمع التونسي بارتفاع نسبة التعليم مقارنة بدول الجوار إذ بلغت نسبة مستخدمي الفيسبوك خلال شهر جانفي 2011 حوالي 19.09 بالمئة من مجموع السكان.

1- يوسف ورداني، محددات المستقبل دور حركات الشبابية في دول الربيع، في: <http://www.reessmid east.org> ، 2016/04/10 ، الساعة 10:00.

2- أمينة محدي، مرجع سابق، ص.73.

نش حمزة

وهو ما يؤكد حسب المتابعين الأكاديميين وعلى وجه الخصوص التحليل الذي قدمه في هذا الشأن الدكتور عزمي بشارة الذي رأى بان المواقع الالكترونية والفضائيات تعد من أهم العوامل التي دفعت بالجماهير التونسية للخروج إلى الشارع، وكذا إسهامها في ترشيد وتنظيم وتوجيه حركة الشارع من خلال النداءات الداعية إلى تشكيل لجان شعبية لحماية المدن من أي تحرك محتمل من قبل بقايا النظام بعد مغادرة بن علي تونس.

إن الانتفاضة الشعبية التي شهدتها تونس مع نهاية 2010 اعتمدت بشكل كبير على وسائل التواصل الاجتماعي من خلال التواصل الدائم مع الجماهير، من أجل توحيد مواقفهم وإيصال صوتهم، وعليه فقد لعبت شبكات التواصل الاجتماعي (الفايسبوك، تويتر، يوتيوب) دورا لا يستهان به من أجل إحداث التغيير في تونس، والتي يمكن رصدتها في⁽¹⁾:

- نجاحه في حشد الجماهير من خلال التفاهم والتعاطف بالانتفاضة الشعبية.

- توسيع مجال المشاركة في اتخاذ القرار الذي كان غالبا من خلال عرض اقتراحاتهم ومعالجتها والوصول إلى قرار يتسم بالإجماع.

- إيصال كل كبيرة وصغيرة خاصة فيما يتعلق برد فعل الحكومة اتجاه المطالب المرفوعة.

وعليه يمكن القول بأن مواقع التواصل الاجتماعي وعلى وجه الخصوص الفاييسبوك في تونس قد غير من الانسجام والتنظيم الذي ظهر جليا من خلال انتظامه في نقل أخبار الحراك التونسي بشكل منظم ودقيق من خلال نشر كل التطورات الحاصلة في الشارع التونسي.

ج- القوى السياسية:

شهدت الساحة السياسية التونسية بعد الثورة سيولة حزبية بعد الحصار الذي كان مفروضا على الأحزاب السياسية من طرف نظام بن علي، فقد ساهمت الأحزاب السياسية هي الأخرى في مسار الثورة وتوسيع انتشارها جغرافيا، وعليه فان الأحزاب السياسية في تونس التي كانت مغمشة في فترة حكم بن علي قد انضمت منذ الوهلة الأولى إلى المتظاهرين والمحتجين في كل ربوع الجمهورية، سواء في المناطق المعزولة أو العاصمة، ومع أن الانتفاضة كانت عفوية ودون قيادة سياسية معروفة أو معارضة، لكن هذا لم يمنع تلك الأحزاب من أن يكون لها دور بارز في إحداث التغيير، غير أن هذه الأحزاب لم تكن لها مواقف موحدة لأهداف الثورة حيث انقسمت هذه الأخيرة إلى اتجاهين متباينين لموقفهم من النظام السياسي التونسي- بعد الثورة، وهذا ما يوضحه الجدول الآتي:

جدول رقم 02. يوضح انقسام الأحزاب السياسية حول موقفهم من الثورة:

1- عبد الله الرعود ممدوح مبارك، دور شبكات التواصل الاجتماعي في التغيير في مصر وتونس من وجهة نظر بعض الصحفيين الأردنيين، رسالة ماجستير في العلوم السياسية غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الإعلام، 2012، ص 65، 66.

الحراك الثوري في تونس (2011) :
السياق العام وردود الفعل الدولية

التوجه	الأحزاب	موقفهم من الثورة
الاتجاه الجدري	حزب المؤتمر من اجل الجمهورية. حزب العمال الشيوعي التونسي	نادوا بالثورة والتطهيرة الجذرية مع نظام بن علي تحت شعار الحرية والعدالة والكرامة. الدعم الكامل للثورة معبرين عن ذلك بأنها الفرصة التاريخية لتراجع الأحزاب والقوى من تفوقها وتطوير قاعدتها الشعبية.
الاتجاه الإصلاحي	الحزب الديمقراطي التقدمي. حركة التجديد	شارك في الحكومة المؤقتة، وبعد أربعة أيام من اندلاع الثورة، طالب الحكومة بسحب القوات الأمنية، والمطالبة ببعض الإصلاحات الهيكلية التي تتصل بالنظام السياسي واستراتيجية التنمية عن طريق تحرير الحياة السياسية ورفع القيود المفروضة على الأحزاب. كان موقفه من الثورة إصلاحي وطالب الحكومة القيام ببعض الإصلاحات وإطلاق سراح المعتقلين، وفك الحصار الأمني ورفع التعتيم الإعلامي المنهج.

المصدر: الجدول من إعداد الباحث

يوضح الجدول السابق موقف بعض الأحزاب السياسية من الثورة حيث أن هذه الأخيرة ساهمت بشكل كبير في دعمها للثورة، غير أن الموقف منها كان مختلف من حيث التوجه فيما يتعلق ببنية النظام السياسي في تونس، حيث نجد كما هو موضح في الجدول الأحزاب التي تدعو إلى التغيير الجذري لنظام بن علي من خلال إعلان القطيعة، في حين نجد أحزاب أخرى لها توجه إصلاحي من خلال مطالبة الحكومة بإجراء تعديلات جوهرية تتماشى مع أهداف الثورة.

د- القوى العمالية المهنية:

لا تختلف المنظمات العمالية والمهنية عن سابقتها من خلال موقفها من الثورة في تونس، إذ لعبت هذه الأخيرة دورا لا يستهان به من خلال تأييد الانتفاضة الشعبية⁽¹⁾، حيث كان الاتحاد العام التونسي- للشغل الذي تأسس في 20 جانفي 1946 الذي يعد من أعرق المنظمات النقابية في الوطن العربي وفي إفريقيا، إذ جمع في صفوفه نقابات العمال والموظفين التونسيين المنتشرين في كل البلاد، وعليه يكن اعتباره أقوى المنظمات

1- دنيا شحاتة ومريم وحيد، محركات التغيير في العالم العربي، مجلة السياسة الدولية، ع. 18، 2011، ص 77.

نش حمزة

التقاوية في البلاد، وقد بلغ عدد المنخرطين فيه أثناء الثورة حوالي 350 ألف منخرط بعدما كان تحت سيطرة بن علي قبل الثورة.

والمتبع لأحداث الثورة يتضح جليا أنه يمثل الريادة من حيث التنظيم، فقد كان له حضور قوي للمساهمة في الحركة الاحتجاجية منذ اندلاع الانتفاضة، وهذا راجع لوعي الاتحاد بخطورة الوضع خاصة الجانب الاقتصاد ي والتموي، وباعتباره عنصر فعال في هذا المجال مما جعله يكون حاضرا منذ الوهلة الأولى من خلال شن الاتحادات الجهوية والمحلية إضرابات عامة حيث لاقت نجاحا كبيرا من خلال التعبئة الجماهيرية المطالبة برحيل بن علي، إلى جانب إصدار الاتحاد بيانا في 18 ديسمبر 2010 طالب فيه إطلاق سراح الموقوفين وسحب قوات الأمن من الشارع.

إن الاتحاد العام التونسي للشغل قد ساند منذ الوهلة الأولى الانتفاضة الشعبية حتى إلى سقوط نظام بن علي، والذي كان له نصيب في المشاركة بشكل رسمي في حكومة محمد الغنوشي التي تلت الإطاحة بنظام بن علي.

يمكن تلخيص نموذج الثورة الديمقراطية التونسية بكونها كانت تعبيرا عن حركة اجتماعية جماهيرية طاعية وطبيعية، استطاعت أن تتكيف سياسيا في لحظة قوية وحاسمة، وكانت قوتها وسرعتها تتجاوز ديناميكيات النسق السياسي المحلي وقدرة محيطها الخارجي على التفاعل معها⁽¹⁾.

3- المواقف المختلفة من الحراك الثوري :

1-3- الدول العربية:

ما يمكن التأكيد عليه في هذا الصدد أن مواقف الدول العربية تجاه الثورة التونسية لم تكن على مستوى واحد إذ تباينت المواقف، ومن أهم مواقف الدول المذكور:

الموقف الجزائري: عبر في هذا الصدد الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في رسالة بعث بها والتي تتضمن الاعتراف بالرئيس التونسي المؤقت بعد توليه السلطة، حيث عبر في رسالة قائلا بأنه يثق في نجاح العبقرية التونسية من تحقيق الرفاهية للشعب التونسي، وفي السياق نفسه اتخذت الجزائر العديد من الإجراءات الأمنية والقرارات السياسية والاقتصادية بما لا يؤدي إلى وصول الثورة الجزائر.

الموقف المصري: كانت مصر أول دولة أعلنت حق الشعب التونسي- في اختيار قياداته ومستقبله، في بيان لوزارة الخارجية، وأنها تثق في حكمة الأشقاء التونسيين وقدرتهم على تثبيت الأوضاع، وتجنب وقوع تونس في فوضى.

1. محسن مرزوق، تونس .. خارطة طريق ما بعد الثورة، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 18 فبراير 2011، في: <http://carnegie.org>

27مارس 2014، mcc.org/2011/02/18/ar-pub-42824

الحراك الثوري في تونس (2011) :

السياق العام وردود الفعل الدولية

وفي الوقت نفسه فإن العديد من الدول العربية بدأت تأخذ حذوها مما حدث في تونس على غرار دولة مصر، التي حاولت إجراءات مسبقة لمنع وصول أحداث الثورة إلى أراضيها، أما على المستوى الشعبي فقد تظاهر العشرات من النشطاء السياسيين المصريين أمام نقابة الصحفيين بالقاهرة معبرين عن تضامنهم المطلق ودعمهم للثورة التونسية.

الموقف الليبي: اختلف الموقف الليبي عن مواقف الدول العربية الأخرى، إذ أنه منذ الأيام الأولى من نجاح الثورة التونسية وجه الرئيس الليبي معمر القذافي كلمة إلى الشعب التونسي- معربا فيها عن أسفه الشديد لخسارة تونس بحجم الرئيس الخلع زين العابدين بن علي، ويصعب على تونس أن تعوض بن علي في المستقبل.

موقف دول الخليج "السعودية، قطر، الكويت" : أعلنت هذه الدول على لسان مسؤوليها أنها تراقب الأحداث عن كثب، وأنها تحترم إرادة الشعب التونسي وخياراته، وتؤكد هذه الدول على الالتزام بعلاقتها المتينة مع الشعب التونسي، وحرصها على علاقتها المميزة مع الجمهورية، وفي هذا الشأن عبر وزير الخارجية القطري الشيخ محمد علي أن قطر تحترم خيارات الشعب التونسي وإن يعود الأمن والاستقرار إلى ربوع تونس.

وفي ذات السياق اصدر الديوان الملكي السعودي بيان ذكر فيه تقدير المملكة العربية السعودية الظروف الاستثنائية التي يمر بها الشعب التونسي الشقيق وتمنياتها بان يسود الأمن والاستقرار في هذا الوطن العزيز، وتأييد لكل إجراء يعود بالخير للشعب التونسي الشقيق⁽¹⁾.

موقف جامعة الدول العربية: أعرب المتحدث الرسمي باسم جامعة الدول العربية عن قلقه من الأوضاع في تونس، وهي تراقب الوضع عن كثب ودعا جميع الأطراف إلى التوصل لإجماع وطني يخرج البلاد من أزمتها، وعليه فإن موقف جامعة الدول العربية إزاء الثورة التونسية كان أقرب إلى الحياد⁽²⁾، خاصة وأنه بعد مرور الوقت وانتشار الثورة في باقي الدول العربية بدأ اهتمام الجامعة يتقلص، وفي هذا الموضوع أكد الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى بأنه على الدول العربية أن تأخذ العبرة من تونس التي أسقطت نظام بن علي احتجاجا على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتدهورة، وبالتالي على الدول العربية مراجعة سياستها وفق تطلعات الشعب.

1- فاطمة الزهراء الدين، جامعة الدول العربية وموقفها من الربيع العربي، مذكرة ماستر في العلوم السياسية غير منشورة، جامعة قاصدي مرياح ورقلة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2012-2013، ص.22.

2- خالدة خليل إبراهيم، حلقة نقاشية. موقف جامعة الدول العربية من الثورات العربية 22فيفري2012، في:

<http://www.allafblogspotcom.blogspot.com/2012/02blog-sport5445.htm>، 02أفريل2013 على الساعة 15:00.

3-2- ردود الفعل الأجنبية:

رد الفعل الأمريكي: يلاحظ على الموقف الأمريكي أن لهجته تصاعدت مع تطورات الثورة، حيث اتسم الموقف الأمريكي في بداية الأمر بالدعوة إلى ضبط النفس والحكمة، من خلال تعامل النظام مع المتظاهرين، ودعت إلى حماية المتظاهرين، لنتهي بالثناء على الثورة⁽¹⁾ والإشادة بها، وهو ما يوضح من مسار الأحداث أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تراقب الثورة، وتؤيدها برغم العلاقة السابقة التي كانت تربط النظام السياسي التونسي- بأمريكا.

ويبدو أن الو.م.أ التزمت الصمت اتجاه الأحداث الواقعة في تونس طوال ثلاثة أسابيع، وحتى استدعاء رئيس وزراء الخارجية الأمريكية السفير التونسي- في واشنطن محمد صلاح تقيية في 07 جانفي 2011 حيث سلمه رسالة تعبر عن القلق الأمريكي من الطريقة التي تم التعامل بها مع الاحتجاجات من خلال المعلومات التي تفيد بالاستخدام المفرط للقوة من طرف الحكومة التونسية، وردا على ذلك استدعت وزارة الخارجية التونسية السفير الأمريكي لدى تونس، وأبلغته دهشتها من الموقف الذي عبر عنه الناطق باسم الخارجية الأمريكية على خلفية الاحتجاجات في تونس.

ردود الأفعال الفرنسية من الثورة: قد لا نستغرب من تقلب الموقف الفرنسي من الثورة التونسية، فقبل تنحي الرئيس زين العابدين بن علي من السلطة ومغادرته تونس لم يصدر عن فرنسا أي موقف ثابت، إلا الموقف الذي بادرت به وزارة الخارجية الفرنسية من خلال ميشيل أليوماري أمام البرلمان الفرنسي، وبعد خلع بن علي صدر الموقف الفرنسي الثاني الذي تخلت فيه عن بن علي بشكل مطلق، وكان أول رد فعل فرنسي- من الثورة التونسية عبر أعضاء في الحزب الاشتراكي الفرنسي المعارض في 31 ديسمبر 2010 الذين أدانوا من خلاله تدخل الأمن التونسي في الاحتجاجات وقمعه القاسي، وفي مقابل ذلك أدانوا أعمال الترويع والعنف التي تقوم بها عصابات إجرامية في تونس، وطالبوا السياسيين بالإسراع في العملية الانتقالية.

خاتمة:

مثلت الثورة التونسية نقطة تحول في تاريخ تونس السياسي بعد 2010، وذلك من خلال سعيها لإحداث القطيعة بين مرحلة اتسمت بالاستبداد والقمع، وتمهيش للمجتمع المدني وتقييد حرياته، ومرحلة التغيير السياسي التي شاركت فيها القوى السياسية والمجتمعية الساعية إلى الانتقال الديمقراطي، وتحسين الأداء الاقتصادي وتحقيق العدالة الاجتماعية، لذا ساهمت قوى سياسية وحركات اجتماعية وجمعيات في التحضير للحراك الثوري التونسي لوضع حد لهذه الممارسات .

بناء على ماسبق ينبغي التأكيد على أن ثورة تونس هي محصلة لمجموعة من العوامل الداخلية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إلى جانب العوامل الخارجية التي كان لها دور، وبالتالي شكلت هذه الثورة الداعية

1- عزمي بشارة، مرجع سابق، ص.326.

الحراك الثوري في تونس (2011) :

السياق العام وردود الفعل الدولية

للتغيير السياسي زعزعة لبنى الدولة التسلطية في العالم العربي، مما ساعد على سقوط النظام السياسي التونسي نتيجة وجود فواعل سياسية لعبت دور لا يستهان به للضغط على نظام زين العابدين بن علي وإرغامه على الرحيل .

وفي ذات السياق خلصت الدراسة إلى التأكيد على أن مواقف الدول العربية والأجنبية اتجاه الثورة التونسية لم تكن على مستوى واحد، إذ تباينت المواقف بين مؤيد ومعارض ومتحفظ، و هنا يمكن الجزم بأن موقف الدول من الثورة في تونس تتحكم فيه المصالح الاقتصادية والإستراتيجية، وكذا الموقف من الصراع العربي الإسرائيلي والنضية الفلسطينية.

وفي الختام لا يمكننا سوى تلمين التجربة التونسية، والتأكيد على أن الفواعل السياسية في تونس كانت تهدف إلى إنجاز نموذج استثنائي في المنطقة العربية لتجربة ديمقراطية رائدة، ذات ارث دستوري ونضال تقايي وحزبي عريق يجمع واعى حدائي ومتفتح، ومعارضة وطنية أصيلة، متمسكة بالمشروع الوطني للدولة المدنية، وبحركة نسائية فاعلة ومبدعة مساهمة بإيجابية في كافة مجالات الحياة الوطنية، وهذا ما يعطى لهذه التجربة روافد صلبة، وقواعد متينة ومقومات خلاقة، من اجل استكمال مشروع النهضة الوطنية في الإطار الحدائي المتميز.

قائمة المراجع:

- نش، حمزة، الحقوق السياسية للمرأة في التشريعات الوطنية الجزائرية - دراسة سياسية مقارنة في ضوء المواثيق الدولية لحقوق الانسان 1989-2009، رسالة ماجستير في العلوم السياسية غير منشورة، جامعة الجزائر 3، كلية العلوم السياسية والإعلام، 2011-2012.
- محمود أبو بكر، مصطفى، البحث العلمي : تعريفه ، خطواته ، مناهجه، الإسكندرية، الدار الجامعية ، 2002.
- سعدي، رنا العاشوري، التجربة الديمقراطية في تونس:هاجس متأصل ومسار متعثر آراء ومناقشات، مجلة المستقبل العربي، ع.423، أبريل 2014.
- عرفة، محمد جمال، جمهورية الفايسبوك، تويتر، يوتيوب تعود ثورة تونس 20 أبريل 2011، في: <http://www.onuslan.net>
- النموذج الثوري التونسي، المسار والتحديات رهانات الانتقال، مركز الإنماء للبحوث والدراسات، 2011/07/09.
- حبيب، سهيل، المفاهيم الأيديولوجية في مجرى حراك ثورات الربيع العربي، ط1، بيروت: مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014.
- توسع التحركات الاحتجاجية في تونس 2016/12/26، في: www.aljazeera.net
- جنبون، نور الدين ، دور الجيش في الثورة التونسية، في ثورة تونس الأسباب والسياقات والتحديات، لمجموعة باحثين، ط 1، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012.

نش حمزة

- غريوال، شارل، ثورة هادئة: الجيش التونسي — بعد بن علي 14 فيفري 2016،
في: <http://carmagie.mce.org>.
- مهدي، أمينة، التحول الديمقراطي في تونس، رسالة ماستر 2014-2015.
- المشهد السياسي التونسي بعد الثورة، في: [www://www.assakina.com](http://www.assakina.com).
- برنامج الواقع العربي، دور الجيش التونسي — في حماية الثورة والتزامه الحياد اتجاه السياسة في تونس 13/11/2005، في: www.aljazeera.net.
- الصويان، أحمد بن عبد الرحمن وآخرون، الربيع العربي: المسار والمصير، تقرير ارتيادي، استراتيجي يصدر عن مجلة البيان بالرياض، 2015.
- ورداني، يوسف، محددات المستقبل دور حركات الشبابية في دول الربيع، في:
<http://www.reessmideast.org>
- الرعود، عبد الله ممدوح مبارك، دور شبكات التواصل الاجتماعي في التغيير في مصر وتونس من وجهة نظر بعض الصحفيين الأردنيين، رسالة ماجستير في العلوم السياسية غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الإعلام، 2012.
- شحاته، دنيا ووحيد، مريم، محركات التغيير في العالم العربي، مجلة السياسة الدولية، ع. 18، 2011.
- مرزوق، محسن، تونس .. خارطة طريق ما بعد الثورة، " مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 18 فبراير 2011،
في: <http://carnegie-mec.org/2011/02/18/ar-pub-42824>.
- الدين، فاطمة الزهراء، جامعة الدول العربية وموقفها من الربيع العربي، مذكرة ماستر في العلوم السياسية غير منشورة، جامعة قاصدي مرياح ورقلة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2012-2013.
- خليل، خالدة إبراهيم، حلقة نقاشية. موقف جامعة الدول العربية من الثورات العربية 22 فيفري 2012، في:
<http://www.allafblogspotcom.blogspot.com/2012/02blog-sport5445.htm>.